



وائل حاقبش

عن الموسيقى العربية والتخت الشرقي

احتفت دار الأوبرا السلطانية في ١٧ أكتوبر ٢٠١٢ بحفل خاص يشيد بإسهامات المرأة العُمانية في مجال الفنون وفي المجتمع العُماني؛ وذلك بتقديم برنامج متنوع ضم أعمالاً غنائية وموسيقية كلاسيكية وفلكلورية وعروض أدتها عازفات عُمانيات وعربيات وأجنبيات. أدت عازفات عُمانيات من الأوركسترا السيمفونية السلطانية العُمانية بعض مقطوعات موسيقى الحجرة، وأيضاً قمن بعزف مقطوعات موسيقية غنائية عربية. وشارك أيضاً في الحفل فرقة "تريتا فيموسا"، وهي أوركسترا نسائية من المملكة المتحدة، إضافة إلى مشاركة عازفات التخت الشرقي النسائي السوري. وفي هذه المقالة القصيرة سوف نتحدث عن تاريخ وعناصر الفرقة الموسيقية الشرقية والتي تدعى "التخت" وأهميتها في الموسيقى الشرقية مع ذكر للآلات الموسيقية الشرقية المستخدمة.

وكما هي فرقة "موسيقى الحجرة" الغربية، تعد فرقة التخت الشرقي أساساً للموسيقى العربية، خاصة في أواخر القرن ١٩ إلى بدايات القرن ٢٠ في مصر وسوريا؛ حيث مرّ التخت في أول مراحل وقبل نزوله الشارع الشعبي بتواجده في السرايا والقصور وبيوت الأغنياء والتخبة. وكلمة التخت تعود إلى أصول فارسية وتعني العرش، أو المجلس المرتفع في صدر صالة الجلوس يجلس عليه العازفون حتى يتمكن الحضور من رؤيتهم وسماعهم.

وتؤدي فرق التخت الشرقي المزف والفناء في أماكن ومناسبات متعددة. فهي دائمة التآلق في الأفراح والمناسبات العامة؛ سواء كانت في القصور أو السرايح أو الأماكن الشعبية كالقاضي والملاهي، وغيرها. وكانت خبرة التخت الفائقة بتقديم مجموعة كبيرة من الألحان والأغاني المضمنة الليالي والأدوار والطاقيط وغيرها من الأغاني الطربية أو الخفيفة الراقصة تسعد أئدة الدعويين لهذه الاحتفالات، ففرقة التخت تحرص دائماً على تقديم ما هو طربي ومسترسل تهتز له رؤوس "السبعة" فرحاً وطرباً، إعجاباً وتقديراً، خاصة حين تقدم بعض القوالب الموسيقية مثل الدور أو القصيدة أو الموال أو الطقطوقة.

وكان التخت الشرقي يتكون غالباً من موسيقيين ومغنين جميعهم من الرجال يرافقهم أحياناً راقصة، وأحياناً أخرى نساء يُطلق عليهن اسم "العوامل". فبالإضافة للعازفين والمطرب الرئيسي، كان وجود الرديئة أو المذهبجة لا يقل أهمية عن بقية التخت، فهم أصبحوا جزءاً لا يتفنى عنه، خاصة في الحوارات الطربية بين المطرب وبينهم، والذي كان يسمى الهنك والجنك. وكانت فرق التخت مميزة بأدائها الموسيقي الفني والمزخرف بكافة الأشكال والحليات وفي الاختيارات والمؤلفات الموسيقية، وكان الارتجال من أهم ما امتاز فيه التخت، أظهر مهارة الموسيقيين، وهو أمر شبه مفقود الآن في الموسيقى العربية الحديثة. وقد عُرف عن موسيقى التخت تأثرها ببعض القوالب الموسيقية التركية مثل البشارف والسماعيات واللونجات وغيرها، ولكن كان تركيزها الأكبر على

وفي حين كان التخت يتألف في الغالب من أربعة إلى خمسة موسيقيين، أخذت فرق أخرى بالخروج من الشكل التقليدي للتخت؛ وذلك بتكوين فرق أكبر حجماً أو متوسطة الحجم (٨ أو أكثر) سميت بالـ "فرقة"، وصلت في الحجم إلى فرق مماثلة للأوركسترا الغربية كفرقة الموسيقى العربية بقيادة عبد الحليم نورية التي تضمنت أكثر من ٤٠ عضواً، ولكنها حافظت على التخت داخل الفرقة كجوهر أساسي، ولكن وللأسف في أواخر الستينيات وبداية السبعينيات، أخذ غزو الآلات والمقاييس الغربية دوراً مهماً في طابع وكيان الفرقة الشرقية حيث تم إدخال آلات إلكترونية مثل الجيتار الكهربائي والأورج والأكورديون، وهذا أعطى طابعاً جديداً للفرقة الشرقية والتقليل من شأن التخت.

ورافقت فرق التخت الشرقي أشهر المغنين في ذلك الوقت مثل منيرة المهدية، ومحمد عبد الوهاب، وعبد الحي حلمي، والذين غنوا للملوك والأمراء في حفلات القصور، وكانوا يتقاضون أجوراً مرتفعة من الباشوات والضيوف "السبعة". حيث إن الكثير من هذه الفرق نالت شهرة كبيرة مثل تخت إبراهيم السهلون، والذي رافق الغنية الشهيرة أم كلثوم والشيخ سيد الصفتي، وتخت محمد صالح عبده الذي رافق المطرب القدير صالح عبد الحي وغيرهم الكثير.

ومن أشهر فرق التخت في أواخر القرن ١٩ وبداية القرن ٢٠: تخت منيرة المهدية، وتخت إبراهيم سهلون (والذي رافق مشاهير المغنين مثل أم كلثوم)، وتخت محمد العقاد الكبير (عازف القانون الشهير)، وتخت محمد المنسي، وتخت محمد المقدم، وتخت محمد الرشدي، وتخت منصور عوض، وتخت إبراهيم العريان، وتخت علي الرشدي، وغيرهم. أما الآلات الموسيقية التقليدية المستخدمة في فرقة التخت؛ فهي: العود، والقانون، والناي، والكمان والرق.

أما أهم المؤلفات التي تقدمها فرق التخت، فهي: الوصلات المقامية الطربية وتحوي عدة قوالب موسيقية وغنائية؛ مثل: السدولاب، السماعي، البشرف، اللونجا، التحميلة، التقسيم، الموال، الليالي، القصيدة، الموشح والطقطوقة. إن التخت الشرقي كان ولا يزال مدرسة موسيقية جادة تتم فيه معرفة أسرار الفن الموسيقي الآلي والغنائي، ويكسب العازفون والمغنون الخبرة لتعزيز مهاراتهم وابداعاتهم في هذا الفن الموسيقي الشرقي الرائع.